قراءة نقدية في كتاب (ست نزهات في غابة السرد) لأمبرتو إيكو

A Critical Reading of Umberto Eco's "Six Walks in the Narrative Wood"

م.د. زينب جواد موسى الشحتور

كلية التربية الاساسية / جامعة ذي قار

Lect.dr. Zainab Jawad Musa Al-Shahtoor

College of Basic Education / University of Thi-Qar Zainab.j.m@utq.edu.iq

الملخص :

قدم (أمبرتو إيكو 1932–2016) في كتابه (ست نُزهات في غابة السرد) تصوره عن الرواية والقضايا المتعلقة بها حيث شبهها بالغابة وبما توحي اليه من فضاءات متعددة مثل المفتوح والمغلق والكثيف الذي يحجب ضوء الشمس ، والبسيط والوعر والهادئ ، وقد استعار – للرواية – مفهوم الغابة للإيحاء الذي ينطوي عليه من رسم عوالم تخييلية لها علاقة بالمؤلف والقارئ ، وتحدث (إيكو) في كتابه عن كل ما يتعلق بالرواية واسرارها ، واشار الى تأمل البنية الروائية في كل رواية من حيث الزمان والمكان وكل ما يتعلق بالقارئ والمؤلف والتلقي ، ولكنه لم يجعل لنفسه نظرية خاصة في قراءة الرواية ، وانما مجرد افكار طرحها ، وقد شبه العوالم السردية بالنُزهة في الغابة وما يصاحبها من تجوال له طعمه الخاص ، فقراءة النص السردي عنده اشبه ما تكون بلعبة تعطي معنى للأحداث الكبرة التي حصلت او ستحصل في عالم الواقع ، ويرى أن الانسان يلجأ الى رواية القصص والحكايات للهروب من الواقع واللجوء الى العالم الخيالي الذي يعتقد انه استنساخ للواقع بطريقة بسيطة ، ويطالب إيكو القارئ بالبحث عن الاسوار الموجودة في النص السردي وان يكون له دور في الكشف عمّا يحتويه النص ، وهذا الكتاب لا يتوجه الى فئة معينة من القراء وانما الى القراء كافة الذين تدهشهم عوالم السرد ، فكتب إيكو بأسلوب مبسط خال من التعقيد ، ليساعد القارئ على الدخول اليه بكل بساطة وقراءته بسلاسة من اجل معرفته والغوص في أعماقه .

كلمات مفتاحية : ست نُزهات في غابة السرد ، لأمبرتو إيكو

Abstract:

In his book Six Walks in the Narrative Woods, Umberto Eco (1932-2016) presented his conception of the novel and the issues related to it, comparing it to a forest and the multiple spaces it suggests, such as the open, the closed, the dense that blocks the sunlight, the simple, the terrifying, and the quiet. He borrowed the concept of the forest for the novel, for the suggestion it contains of drawing imaginary worlds related to the author and the reader. Eco spoke in his book about everything related to the novel and its secrets, and pointed to contemplating the narrative structure in every novel in terms of time and place and everything related to the reader, the author, and the reception. However, he did not make for himself a special theory in reading the novel, but rather merely ideas that he put forward. He compared the narrative worlds to a walk in the forest and the wandering that accompanies it, which has its own flavor. For him, reading the narrative text is more like a game that gives meaning to the major events that have happened or will happen in the real world. He believes that people resort to telling stories and tales to escape from

Keywords: Six Walks in the Narrative Woods, by Umberto Eco

مقدمة

دعي (اومبرتو ايكو) عام 1993 الى القاء محاضرات عن السرد في جامعة هارفرد الامريكية وبعدها جمع تلك المحاضرات بكتاب اسماه (ست نزهات في غابة السرد) ، وقد اشار الى ان استعارته مفهوم الغابة متعلق بالعالم الخيالي الذي تتبناه الرواية ، كما سعى الى توضيح العلاقة بين الانتاج والتلقي (المؤلف والقارئ)، لكون الرواية تطرح تصورات تشبه الواقع و لا تختلف عن ما يطرحه أي كتاب في التخييل ، فهو يقدم للقارئ كيفية الدخول الى الغابة والتجوال في عوالمها المختلفة وكيفية الهروب منها، والكيفية التي يتشكل فيها الزمن ، حتى يتيه المتجول في تلك الغابة ليصعب عليه معرفة الوقت اهو نهار ام ليل ، لان السرد هو الذي قام بتحويل عالم الخيال الى حقيقة عبر الروابط التي استعملها ، فالعالم الخيالي الذي تقدمه الرواية ستشعر القارئ بالراحة والاستمتاع ، وقراءة الرواية كما وصفها ايكو هي حالة هروب من الواقع الى عالم آخر يكون كل شيء فيه ممكن .

قسم ايكو كتابه الى ستة فصول نعتقد ان كل فصل يمثل نزهة في الغابة وتقابلها أحاديث عن السرد فكانت عنوانات الفصول كالاتي(الأول ولوج الغابة /الثاني غابات لوزي / الثالث التريث في الغابة / الرابع الغابات الممكنة / الخامس الحالة الغريبة لشارع سيوفاندوني /السادس بروتوكولات تخييلية) ، وطرح ايكو مجموعة من المفاهيم التي تتعلق بالنص السردي فهو عنده آلة كسولة يقوم القارئ بأداء جزء من مهامها، وميز بين نوعين من السردية هما (الطبيعية والاصطناعية) ، فالسردية الطبيعية لها علاقة بالأحداث التي وقعت بالفعل، اما السردية الاصطناعية فهي تتصنع في قول الحقيقة وتعرف من محيط النص ، وتتعلق بالعنوان والغلاف واسم المؤلف ...الخ

حدد ايكو مجموعة من الامور التي يجب على القارئ الالتزام بها لأنه الركن الاساس الذي تبنى عليه السردية ،فيجب ان يكون لديه اطلاع واسع على العالم الواقعي حتى يتمكن من تشييد عالمه الخيالي ، وقد اوجد (إيكو) نوعا من القراء وصفه ب(القارئ النموذجي) الذي يولد من البنية النصية ، ويتميز بقدرته على احترام القواعد التي يوجهها له المؤلف ، عن طريق الاشارات التي يبعثها له.

كما انه ابتدع نوعا من المؤلفين اسماه ب(المؤلف النموذجي) الذي عرفه بأنه مجموعة من التعليمات تأتي شيئا فشيئا بحسب استراتيجية سردية ، واشار الى وجود ثلاثة اشكال للزمن وهي زمن الحكاية الذي يمتاز بطوله ، و زمن الخطاب يكون في حالة من التفاعل مع استجابة القارئ زمن للقراءة الذي يفرض على القارئ قراءة النص.

واشار إيكو الى ان الزمن يتوزع على ثلاثة انماط (زمن الحكاية ، زمن الخطاب ، زمن القراءة) وأن زمن الخطاب في حالة تفاعل مع استجابة المتلقي وعن طريق هذا التفاعل فانه يفرض على القارئ زمنا للقراءة وان زمن الخطاب لا ينطبق على الفنون الأخرى كالسينما والموسيقى والرسم .

وسيسلط البحث الضوء على عدة مفاهيم تتعلق بوجهة النظر النقدية لمؤلف الكتاب عبر أربعة محاور هي (تصور امبرتو ايكو عن السرد /القارئ/المؤلف / الزمن) .

تصور أمبرتو إيكو عن السرد :

يعد السرد من المصطلحات التي شاع ذكرها للدلالة على ذكر الاحداث المتتابعة دون اي خلل او بعبارة اخرى هو الكلام الذي تكون عناصره متآلفة لا تنافر بينها ،والسارد هو من يقوم بإجادة صنعة الكلام و له القدرة على نظمه بحيث لا تتنافر اجزائه [1] وعن طريق السرد يتشكل نوع من الابداع الادبي كأن يكون قصة او رواية او حكاية ...الخ .

اما الكيفية التي يتم بها السرد فتتعلق بالراوي والمروي له ، والمؤثرات التي يحدثها طرفا السرد(الراوي والمروي اليه) و قسم منه متعلق بالقصة التي تُروى [1] وقد تناول موضوع السرد نقاد كثيرون منهم (رولان بارت) الذي اشار الى ان السرد اما ان يكون بلغة شفاهية او كتابية او على هيئة صور ثابتة او متحركة ، فالسرد حاضر في الحكايات والملاحم والاساطير والسينما والانشودة و في مجالات واسعة [1]، اما (بول ريكور) فيرى ان السرد يدل على اتحاد وتفاعل بين عالمين هما عالم النص السردي وعالم المتلقي [1].

ومن وجهة نظر النقد الحديث فتعد بداية ظهور السرد ملتصقة بالبذرة الاولى للنشأة الانسانية وما وجد في تاريخ كل امة من تراث حكائي وقصصي يؤيد ذلك ، فهو ناتج عن حدث واقعي او خيالي فالسرد موجود في الاجناس الادبية المختلفة وله علاقة بتاريخ الانسان وثقافته ،وهو قديم قدم الانسان . [1]

يعد السرد خطابا متشعبا يضم الابداع الانساني سواء أكان أدبيا او غير أدبي فهو موجود في الأجناس الادبية القديمة والحديثة من الاسطورة والخرافة والحكاية والقصة والمأساة والرواية ، فهو مرتبط بالخطاب اليومي وكذلك في الشعر وفي أغلب الخطابات المختلفة فهو واسع ومتنوع [1] ولسنا في بحثنا هذا معنيين بتقديم مقدمة عن بداية ظهور السرد وتطوره ،ولا النظريات التي تناولته وانما سنحاول ايضاح ما جاء في كتاب (ست نزهات في غابة السرد) .

يعد كتاب (ست نُوهات في غابة السرد) لمؤلفه الايطالي أمبرتو إيكو من الكتب التي تناولت السرد وبالأخص احد الاجناس الادبية الحديثة الاوهي الرواية التي لا يعتوها – إيكو – مسألة لسانية فقطوانما تستعمل للتعبير ، فهي سرد يومي مثلما ُتسرد اليوميات الصباحية التي تعبر عن الوقائع المسرودة فتتكون قصة وبناء [1]، ومن جانب آخر هي نص تخييلي تدور احداثه عبر شخصيات تكشف عن امور لها وجود واقعي بالحياة لكنها تمثل الخيال الذي توحيه رؤية الكاتب الى امر ما [1]، وقد قدم إيكو مجموعة من الطروحات التي تخص السرد وتناول كل ما يتعلق به من جوانب مختلفة في اكثر مؤلفاته النقدية التي تحدث فيها عن السرد ، فلذلك سنحاول التعرف على اهم الجوانب التي تطرق اليها إيكو في كتابه المتعلق بالسرد الروائي باعتبار ان النص السردي شبيه بالغابة ، فهو يستهوي القارئ ويقدم له عالما مليئا بالأسوار، وأحيانا يكون واضحا واخرى يكون غامضا نتيجة لتشابك اجزائه [1] فيكون له انطباع يشبه التصور عن الغابة التي تتميز بكثافة فروعها .

ناقش إيكو في كتابه مجموعة من الامور المتعلقة بالسرد ، ومن بينها تشبيهه له بالغابة فيقول ((إن الغابة هي استعارة للنص السردي وليس للحكايات فقط ، انها كذلك بالنسبة لكل النصوص السردية)) [1]، ويرى ان الغابة تكون طرقها متداخلة مع بعضها البعض ،وان كل شخص قادر على رسم طريق له في هذه الغابة المكتظة بالأشجار ، وهو ايحاء منه لوجود شبه بين الغابة والنص السردي ، فاستعار هذا المفهوم في تسمية كتابه بهذا الاسم الذي يعود الى تشابك اجزاء السرد وتفوع اجزائه ومكوناته التي تشبه الغابة المتفرعة والمتشابكة الفروع والاغصان .

يقوم كتاب إيكو على ايضاح الموضوعات التي تتعلق بالسرد في ضوء تفسيره لبعض المعطيات المتعارف عليها في مجال الرواية ومكوناتها ، لان الهدف الذي يسعى اليه هو توضيح كل شيء يدور حول السرد، فالنص السردي عنده آلة كسولة يقوم القارئ بأداء جزء من مهامها [1] ويعد النص السردي من النصوص التخييلية السريعة التي لا تتمكن من قول كل شيء عن العالم، وانما يترك فيها المؤلف جزءا من الابهام ليحفز القارئ على القيام بتأويل النصوص بالاعتماد على ما يمتلكه من مخزون ثقافي ومعرفي، و اعتبره ناقدا للنصوص التي سيصوغها بأسلوب آخر من اجل ان يجعل للنص معنى ذو دلالة لم يكشف عنها المؤلف وانما ترك له حرية هذا التأويل والقيام بملء الفراغات وكذلك بياض النص [1] ، ويكون القارئ قد أسهم بعملية استكمال لما يقوم به المؤلف عن طريق التعبير عن رأيه في النصوص السردية وقيامه بملء فراغاتها وذلك بتأويل النصوص المقروءة [1]، ويرى ايكو ضرورة إيضاح وجهة نظر المؤلف في النص لأنه سيقع على عاتق القارئ التعامل معها ، حيث جعلها عملية تشاركية بين المؤلف والمتلقي ، فالكاتب لا يكتب لنفسه وانما يكتب للقارئ الذي لا يعرف كيف يكون توجهه ، فربما يكون القارئ المستقبلي هو انسان تعيس [1].

يلح ايكو على ان النص آلة كسولة تترك الى القارئ ليقوم بأداء جزءٍ من عملها و ((من المفروض ان يقوم عمل سردي ما ، بوضع شخصيات على مسرح الاحداث تأخذ على عاتقها القيام بأفعال ، ومن جهته يرغب القارئ في معرفة تطور هذه الافعال)) [1] ، وفي الوقت الذي يضع المؤلف الرموز والشفرات في نصه السردي ، فان على القارئ دور تفاعلي بعد قراءته للنص وستتركز هذه القراءة على فك تلك الرموز والشفرات بسبب علاقته بالنص و تمكنه من اكمال عملية قراءة النص وتفهمه ليكون بمستوى يستطيع التفاعل مع ما وضعه المؤلف [1].

ولم يفت ايكو الاهتمام بالاستراتيجية التي تبنتها التفكيكية في جعل حرية لكل قارئ في نظرته الى النص وفي اعادة تفسيره بالطريقة التي يجدها مناسبة لاسيما نظرتها الى الذات و قدرتها على اعادة كتابة النص وفق تفسيره لها [1]، فكان إيكو مع هذه الاستراتيجية فضلا عن ان رؤيته الى تفكيك النصوص السردية مشروطة بفتح افاق جديدة في النصوص ومعرفة اكثر كلما اعيدت قراءتها إذ يقول ((فأنا كلما أعدت قراءة هذه الرواية سقطت في هواه كما لو أني أقرأه لأول مرة ، على الرغم من انني أعرف بعمق تفاصيله وربما لهذا السبب ازداد عشقا له)) [1]، فالطرق التي يتم فيها قراءة اي نص سردي تكون مختلفة باختلاف مستوى القراء وفهمهم للنص و ذكاء المؤلف .

اما القصة وان تعددت تعريفاتها في المعاجم وان كتابتها تعود لتخبر عن الاحداث التي تجري في الحكاية او هي الاحالة على الفعل السردي الذي يقوم بإنجازها [1]، وكذلك الحبكة التي تعني في احد تعريفاتها بانها تتابع الاحداث

التي تؤدي الى نتيجة قصصية تدور حول صواع ما ، وتعمل على شد القارئ [1] فقد نظر إيكو اليهما-القصة والحبكة – في النص السردي على كونهما ((بنيتان تكونان قابلتين للترجمة من خلال نسق سيميائي آخر ...قد لا نعثر على الحبكة في نص سردي ، لكننا لا يمكن الا نعثر على قصة وخطاب)) [1] فالأساس في النص السردي هو القصة والخطاب اللذان عدهما جزءا مهما من عمل المؤلف الذي يسعى لتوضيحهما لقارئه المعاصر ، وقد أشار ايكو في رأيه هذا الى إمكانية استغناء النصوص السردية عن الحبكة ، لكنه عاد ليستفهم عن مدى إمكانية استغناء النصوص السردية عن الحكايات لتكون لها الحبكة فقط ، ونعتقد ان ايكو بهذه التسؤلات لم يكن بمعزل عن الكثير من النظريات الادبية التي حاولت ان تظهر فيها صوت المؤلف مسموعا عن طريق تنظيمه للوقائع – القصة والحبكة – وذلك بتقليله لوجود الخطاب وعدم اهتمامه بالقارئ وطروحاته وآرائه.

فهو يرى ان ما ينتجه المؤلف يعتبر خيالا قريبا من الواقع ولا يمثل الواقع فعالم السرد عنده عبارة عن طفيليات ((فلا وجود لأي قانون يفرض علينا عدد العناصر التخييلية المقبولة ، فهناك مرونة كبيرة في هذا الشأن ، كالأشكال التي تدفعنا من خلالها الحكاية باستمرار الى تصحيح معرفتنا بالعالم الواقعي . ولكن كل ما لا يسميه النص او ما لا يصفه بشكل جلي باعتباره مختلفا عن العالم الواقعي ، يجب ان ينظر اليه ضمنيا باعتباره متطابقا مع قوانين ووضعيات العالم الواقعي)) [1]

اما النصوص المستحيلة الوجود فهي ((السردية المتناقضة ذاتيا(self-voiding fiction) وهي نصوص سردية تبين وتبرز استحالة وجودها ،... فان في هذه العوالم هناك كيانات ممكنة ادرجت ضمن الوجود التخييلي من خلال تطبيق السيرورة التصديقية الصوف. الا ان وصفها الانطولوجي غير مؤكد ، ذلك ان اسس او آليات التصديق ملغومة من الاساس ..)) [1]

وهناك اسباب كثيرة تدفع الانسان لقراءة الروايات لكن إيكو يضع مجموعة من الاسباب التي تدفع القارئ لاقتناء الروايات والقيام بقراءتها، فالقراءة تمنح الانسان شعورا بالاطمئنان لأنها تعوض عالما خياليا قريبا من الواقع ، وتبرز قوة القارئ على تحليل النصوص بفضل المعرفة التي يمتلكها والثقافة التي يتمتع بها ، فالقصة هي بوح يعالج فيه الانسان قضاياه الواقعية المختلفة بجعلها ضمن نص سردي ، و القصة لا تصور حياة معاشة بالفعل وانما هي تصوير لعالم خيالي رسمه ذهن المؤلف ، واعطاه شيئا قريبا من الواقع ، وهناك علاقة بين ما يطرحه السرد وبين الحياة فهو –أي السرد– ((يساعدنا على ابتكار معايير لمعرفة ما اذا كانت قراءة نص سردي تتخطى ما سميته (حدود التأويل)) [1] .

وفيما يتعلق بالرواية التاريخية فقد اشترط إيكو ان تكون احداثها مطابقة لأحداث تلك الفترة في عالم الواقع ، فالنصوص السردية تطلب من القارئ ان يكون موسوعيا وذا معرفة كبيرة بأكثر الامور حتى يتمكن من معرفة ما يريده المؤلف والكشف عن استراتيجية العمل السردي الذي كتبه المؤلف لوجود تقارب بين السرد والحياة ، ويطالب ببناء عالم سردي يشبه الواقع لان ((العوالم السردية تمنحنا راحة كبرى ، فلم لا نحاول قراءة العالم الواقعي باعتباره رواية)) [1]، فهوى هذا العالم الخيالي اكثر اطمئنانا من الواقع ، ليلجأ القارئ الى تأويله بما يتناسب مع رؤيته له فتكون هناك حالات يمتزج فيها الخيالي بالواقعي وقد يكون هذا الامتزاج باعثا للمتعة او يكون ضروريا ، اما قمة الاعمال المتخيلة فتكون عندما يصبح العمل السردي مقلقا الى حد المأساوية الشديدة .

تزعت السردية لدى ايكو التي اتجاهين هما (السردية الطبيعية) و(السردية الاصطناعية) فالسردية الطبيعية لها علاقة ((بالفعل الذي يحكي سلسلة من الاحداث التي وقعت فعلا ، او يعتقد المتحدث انها وقعت او يريد ان يقنعنا وهو كاذب انها وقعت فعلا)) [1]، اما السردية الاصطناعية ((فتتشكل من التخييل السردي . فهي تتصنع قول الحقيقة أو تتحمل مسؤولية قول الحقيقة في اطار كون خطابي تخييلي ... ونعتقد اننا نتعرف على السردية الاصطناعية بفضل محيط النص ،)) [1]، وللسردية الاصطناعية سيميائيتها الخاصة بها لانها تتعلق بالعنوان والغلاف واسم المؤلف مثلما توجد افتتاحية للحكايات الشعبية التي تبدأ بعبارة (كان يا ما كان)وغوها ،وان الفصل بين السرديتين (الطبيعية والاصطناعية) قد لا يكون مقنعا في بعض الاحيان بناء على قراءة بعض النصوص السردية التي توجد فيها حالة من الملازمة بين ما هو واقعي (الطبيعي)وبين ما هو خيالي (الاصطناعي) ،وان محاولة التفريق بين النوعين سيكون مصيرها الفشل لوجود نماذج على العكس منها ، فالسردية الطبيعية تمتزج بامور واقعية وقليلا ماتبدأ((بعناصر تخييلية)) [1]، اما السردية الاصطناعية فتبدأ ((بعنصر حقيقي)) [1]وان التضاد بين العناصر الواقعية والعناصر الخيالية سينعكس اثره على المتلقي فالسرد تتداخل فيه العناصر التخييلية مع عالم الواقع لتكون عالما متمزجا على شكل رواية

ناتجة من اسقاطات ينتجها التخييل على الواقع بحيث يعتقد القارئ ان هناك شخصيات حقيقية في الرواية في ضوء التناص الحاصل بين الخيال والواقع وان ((الاحالات على العالم الواقعي في السرد التخييلي متداخلة مع العناصر غير الواقعية لدرجة ان القارئ تعوّد على العيش داخل الرواية ويخلط ، كما يجب فعل ذلك ، بين ما ينتمي الى العناصر العجائبية وبين ما يعود الى العالم الواقعي)) [1]، وبالتالي يكون اعتقاد القارئ بان ما يحدث هو حقيقة وليس من صنع الخيال ويكون للشخصيات اثر وحرية للتنقل ((من نص الى اخر ، فهذا معناه انها حصلت على حق المواطنة في العالم الواقعي ، وتحررت من المحكي الذي ابتدعها)) [1]وعند تطابق الشخصيات التخييلية مع الواقعية يصعب التمييز بينهما لقوة التشابه وكأن الشخصية تعيش وجودا واقعيا

والاعمال السردية التي تقدم في الوقت الحاضر هي إعادة لأعمال سابقة استقرت في الذاكرة وتعايشت معها وأدت الى انتاجها بهذه الصورة، فالذاكرة الفردية والذاكرة الجماعية لهما الفضل الكبير في المحكي التاريخي (التخييل) فهو استعوار الى وظائف الربط بين الذاكرتين، وهناك علاقة واضحة بين السرد والواقع لوجود تشابه بين الاثنين فلذلك ستكون مهمة التخييل بأن ((يمدنا بما يسمح لنا بممارسة تلك الملكة التي تمكننا في الان نفسه من اواك العالم واعادة بناء الماضي ، إن للتخييل نفس الوظيفة التي يقوم بها اللعب .فالطفل اثناء لعبه. يتعلم كيف يحيا لأنه يتصور وضعيات سيصادفها عندما يصبح راشدا ونحن الراشدين نقوم من خلال التخييل السردي ، بممارسة قدرتنا في تنظيم تجربة الحاضر والماضي)) [1] فترتبط السردية بالحياة بإمكانية تأويل الواقع بإدخال بعض عناصر الخيال عليه ، وهذا التأويل قائم على اعطاء معنى لذلك الواقع ، وربط جسور بين المؤلف و النص السردي .

القارئ

اما المحور الاخر في العملية السردية فهو القارئ الذي يمثل احد اركان النموذج التواصلي المتألف من مرسل ومرسل اليه ورسالة [1]وهو الركن المهم في عملية الربط بين النص والمؤلف في ضوء تفاعله معهما ،وهو ما اكدت عليه مدرسة كوستناس الالمانية التي اهتمت بالتلقي ووضحت الاليات التي يقوم عليها التلقي وما قام به ركنا هذه المدرسة (ياوس وآيزر) من جهود لواسة هذه العلاقة التي توبط بين اجزائها الثلاثة (النص والقارئ والمؤلف) بعد أن وجد (ياوس) أن العلاقة بين النص والقارئ تشتمل على دلالات جمالية وتاريخية ، فالجمالية لها علاقة بما يقوم به القارئ من المقارنة بين قراءاته المختلفة ، اما التاريخية فتعتمد على القبول والاستيعاب المتولد من اكتشاف قيم الادب القادر على اعادة قراءة التواث وهضمه ومقارنته بقيمة الحاضر [1]، فتتولد لدى القارئ القابلية ليكون قارا ومحترفا في علاقته مع النص والمؤلف ،وهذا ما يوضحه سعي ياوس وتأكيده على التاريخ ومعرفته التي توافق الاعمال الادبية عن طريق اختلاف تلقيها التي يكون لها أثر في اعادة بناء العمل الادبي ، ولذلك يتطلب من القارئ عند قراءته للنصوص الادبية ان تكون له معرفة وعلم بأبرز المؤثرات المحيطة بالنص التي ستساعد في فهمه للنص وتأويله [1] حيث تتكون لديه معرفة ناتجة من قراءاته المتعددة التي تساعده في اعطاء معنى جديد للنص .

اما(آيزر) فقد وجد ان هناك علاقة تفاعل بين النص والقارئ ناتجة عن ان النص يشتمل على موجعيات لكنها تعتبر غير نهائية ، فيقوم القارئ بالإسهام في اعادة بنائها عن طريق تأويله للمعنى وتكون عند القيام بعملية قراءة النص [1]، فلذلك يكون القارئ طرفا مهما في العمل الادبي ، فهو موجود في نظر المؤلف عند قيامه بتأليف نصه الابداعي ، ولذلك اوجد (آيزر) مفهوما يتعلق بالقارئ اطلق عليه (القارئ الضمني) ، فضلا عن وجود قراء اخرين منهم القارئ الحقيقي الذي يتم التعرف عليه عن طريق ردة فعله ،والقارئ الافتراضي الذي تسقط عليه تبعات النص [1]و قراء آخرون سبق وان وضحهم النقاد قبله .

وفي ضوء اطلاع (إيكو) على ما أشار اليه (ياوس و آيزر) فقد حدد مجموعة من الامور التي يجب ان تتوافر في القارئ والواجبات التي عليه الالتوام بها لأنه الركن الاساس الذي تبنى عليه السردية ، فما يتميز به القارئ لديه هو ((

أن يكون على اطلاع واسع على العالم الواقعي لكي ينظر اليه باعتباره الاساس الذي يشيد عليه العالم التخييلي)) [1] ،واحيانا يكون الاحساس بغوابة العالم الذي يقدمه السرد لان العالم الذي يقدمه صغوا وذو حدود معينة بعكس عالم الواقع الذي يكون متسعا ومتشعبا ففيه حكاية تدور حول عدد من الشخصيات في اماكن وازمنة محددة .

ونخلص الى ان إيكو قد وضع مميزات للقارئ ووصفه بصفات منها ان يكون له وعي كبير بالواقع الذي يعيشه ليبني تصوراته وخياله ، فحضور القارئ في النص السردي ضرورة لان النص يكتب ليقرأ ، فلذلك يعد القارئ ركنا مهما من مكونات الحكي ، فيأخذ المؤلف على عاتقه كتابة نصوص مهمتها ايصال رسالة الى القارئ ،وهناك عملية مشاركة يشترك فيها كل من المؤلف والقارئ لتفسير الرسالة التي يبعثها النص و ((بإمكان القارئ ان يستنتج من النص ما لا يقوله بشكل صريح (التشارك التأويلي قائم على هذا المبدأ) ولكنه لا يستطيع ان يجعل النص يقول نقيض ما يقوله)) [1]، فالقارئ يبني تصوراته في ضوء ما يجده في النص حتى وان لم يصرح به المؤلف وانما يعتمد على تأويله ،والنص – كما يراه ايكو– يحمل بين جوانبه مجموعة من الفجوات والفراغات التي يتركها المؤلف لكي يقوم القارئ بملئها [1].

وقارئ النص السردي تكون له قابلية الاختيار ليميز الكلام بعد انتهاء المؤلف من جملته التي تتضمن الفاظا مختلفة ، وفي بعض الاحيان يترك السارد حرية استباق الاحداث في القصة عن طريق ما يتركه من إشارات ، وقد اوجد (إيكو) نوعا جديدا من القراء حيث اطلق عليه تسمية (القارئ النموذجي) الذي يولد من البنية النصية التي وصفها ب((مجموعة من التعليمات النصية التي تبدو على سطح النص على شكل اثباتات او اشارات اخرى)) [1] فهو –القارئ النموذجي – كائن يستخلص من النص وهو المرسل اليه الذي يتخيله السارد ولا يقتصر على استيعاب النص السردي وانما يفهم قصد المؤلف بفضل ما يتمتع به من قوة معرفية واسعة وقوة بيانية تمكنه من فهم النص وتأويله [1]، وأشار ايكو الى ان هذا القارئ الذي وصفه بالنموذجي يتميز بقدرته على احترام القواعد التي يوجهها له المؤلف ، عن طريق الاشارات التي يبعثها له وفي اكثر الاحيان تكون ملتبسة [1] فهل يضع المؤلف اثناء كتابته للنص السردي قارئا نموذجيا واحدا ام عدة قراء ؟ حيث اهتم ايكو بالقارئ النموذجي وصنفه بحسب تفاعله مع النص ليتحول من موقع الى اخر فيصبح ((قارئا نموذجيا من الدرجة الثانية ؟ انه يصبح كذلك من خلال اعادة بناء مقاطع الاحداث التي يكون السارد قد فقدها عمليا ، لندرك بعد ذلك ان ليس السارد هو الذي فقدها بل المؤلف الذي يدفع بالقارئ الى تضييعها)) [1] ،وهو بهذا الرأي يكون مقاربا لما قاله (آيزر) في قارئه الضمني الذي يشير فيه الى انه بنية نصية تكون سابقة قبل حضور المتلقي ، وهذا القارئ لا يتطابق مع القارئ التخييلي الذي يتضمنه النص ، وتأويل النص الذي يتطلب قارئا يكون وجوده متخيلا ، فيقول ايكو ((تحدثت عن القارئ النموذجي في النصوص المفتوحة على جهات نظر متعددة ، ولكني تحدثت ايضا عن تلك النصوص التي تتوقع قارئا عنيدا)) [1]،والعمل الذي يقوم به القارئ النموذجي تميزه بقابليته على البحث في النص الذي يساعده في عمليات التأويل في ضوء ما يلاحظه في النص وما يتركه له المؤلف وبهذا الفعل يكون محاكيا له .

ويرى (إيكو) ان القارئ النموذجي لديه القوة على المواصلة والبحث عن طريق ((العمليات التأويلية التي يتطلبها الصوت : الاهتمام ، النظر، الملاحظة البحث عن تناظرات وروابط ، والمؤلف لا يشكل سوى استراتيجية نصية)) [1]، مستبعدا أن يكون القارئ النموذجي في حال ان لم يقم المؤلف بإخبار القارئ عن معلومات قد لا يعرفها عن الواقع ، وبذلك يتمتع القارئ بمعرفة واسعة وفي حال كان القارئ لا يمتلك معلومات صحيحة عن الواقع فهو لا يكون تصرفه كقارئ نموذجي ، ولذلك فإن ((المؤلف لا يجب ان يكتفي بافتراض عالم واقعي باعتباره الاساس الذي يقوم عليه ابداعه ، بل عليه ان يقوم باستمرار بإخبار قارئه عن مظاهر العالم الواقعي الذي قد لا يملك القارئ عنه اية معلومات)) [1].

قدم (إيكو) تصوره الواضح عن القارئ النموذجي الذي يمتلك حظا كبيرا من المعرفة و الثقافة التي تمكنه من الفهم وتأويل النصوص التي يكتبها المؤلف وله القوة على فهم الاشارات التي يرسلها النص ، وله القابلية على فهم ما يريده المؤلف بفضل امتلاكه لمعلومات غزيرة في مجالات الحياة الواقعية، فالحكاية التي يقدمها المؤلف ماهي الا قصة خيالية ،

وكأن الكاتب يقدم اثباتاته لعالمه المتخيل ليجعل القارئ معتقدا بان كل الذي يذكره واقعا وهنا تبرز قابلية المؤلف على خلق عالم خيالي قريب من الواقع ،وهذا ما أراد إيكو طرحه ليبين نظرته الى قارئه النموذجي .

المؤلف

اما المحور الثالث الذي تناوله إيكو في كتابه فهو (المؤلف) حيث وضح نظرته عن المؤلف الذي نعته بالنموذجي أيضا ، وبين الصفات التي يجب ان يتحلى بها فهو ((صوت يتحدث الينا بطريقة فيها كثير من الحنان (صوت حاسم أو خفي) انه يريد ان نكون جنبه : ان هذا الصوت يتجلى باعتباره استراتيجية سردية ، اي باعتباره مجموعة من التعليمات تأتينا شيئا فشيئا ،وعلينا ان نخضع لها اذا ما قررنا التصوف كقواء نموذجيين)) [1] ، وقد اجمع على مميزات امتاز بها مؤلفه النموذجي و اقتوح هذه التسمية ، مثلما اوجدت الادبيات مجموعة من الشخصيات المختلفة التي تعود الى تسميات مختلفة منها القارئ الضمني والمثالي وغيوهم وكل منها ترجع الى مؤلف معين فكان اقتراحه أن يكون هناك (مؤلف نموذجي) لقارئه النموذجي وجعله يتصف بصفات خاصة .، ليس بالضرورة ان يكون هذا المؤلف لديه استراتيجية في التأليف ، فهو موجود في كل الروايات ويمكن ان يلمح عن طريق تصرفاته وصوته الذي يتجلى في النص ليحفز ردة فعل القارئ وخياله الذي يساعده في البحث عنه .

اما الغاية التي يكتب بها المؤلف النموذجي والفعلي نصهما السردي وهي غير واضحة وغير ظاهرة وموجودة في النص السردي ((هي إرباك القارئ)) [1] ، و يمكن ان تحصل هناك علاقة بين القارئ النموذجي والمؤلف النموذجي اثناء عملية قراءة النص السردي او في نهايته ، وكل هذا يعود الى الطرح الذي يقدمه المؤلف ويتفاعل معه القارئ ويكون تحليله متوافقا مع افكار القارئ ليصل الى مرحلة الامتزاج في الافكار ، وحتى يصبح صوت المؤلف مسموعا يكون ذلك في ضوء ((تقليص الوجود الخطابي الى اقصى حد ، لا من خلال التغاضي عن وجوده ، بل من خلال عدم اهتمام القارئ بما يرد فيه من توجيهات)) [1]ويكون ذلك بخلق معادل موضوعي يوجده المؤلف للتعبير عن الانفعالات ، ومن جهة اخرى قيام المؤلف باستعمال تقنيات تساعده للتجول في النص فأحيانا يقوم بإرسال اشارات ورموز من اجل تشويق القارئ ، ويوحي بأن الخطاب يميل الى التباطؤ والهدوء او التوقف احيانا ، فيحاول القارئ الإستعانة بتجربته في الحياة او بما كان مخزونا لديه في الذاكرة من قراءاته للقصص لكي يتوقع نهاية للقصة ،ويكون المؤلف قد اوصل الفكرة الى قارئه فهو ((لا يكتفي بمهمة ابرام عقد مع قارئه حول حوادث تخييلية و يطلب منه أن يصدق عليها ، بل يهتم ايضا بإمداده ببعض المعلومات الخاصة بالعالم الواقعي التي قد لا يكون على اطلاع عليها وقد تكون اساسية في فهم المحكي)) [1]، ويكون المؤلف قد استطاع إيهام القارئ بان المعلومات التي بثها له معلومات حقيقية فيصدقها وهي في بالأساس معلومات خيالية خاصة فيما يتعلق بالتاريخ ،وهنا تثبت جدارة المؤلف وتمكنه من اقناع القارئ بالمعلومات التي بثها اليه ، وبذلك يكون المؤلف قد جعل قارئه مشاركا له في العمل بفضل شعوره بمعرفته للواقع وهو في حقيقية الامر يجهل اشياء كثيرة ، و الامر الآخر الذي يفعله المؤلف ((انه يدفعه الى التظاهر بمعرفة اشياء لا وجود لها في العالم الواقعي ...فالى اي حد نحن قادرون على الافتراض ان مظاهر العالم الواقعي هذه هي مظاهر واقعية يعتقد المؤلف خطأ انها واقعية)) [1]،والنتيجة التي ستحصل ان هذا المؤلف – أي النموذجي – سيوهم المتلقي باشياء يعتقد انها موجودة في الواقع الا انها في الحقيقة لا وجود لها وان ذلك كله من وحي خيال الكاتب وان الحوادث التي ذكرها لا تمت للواقع باي صلة كانت وانما براعة المؤلف هي التي اوجدت ذلك .

الزمن

يعد الزمن هو المحرك الرئيس في العمل السردي ،والمسار الذي يتحرك فيه ،وهو الذي يتلاعب ببناء الحدث ، ففي بداية ظهور الاعمال السردية اصبح إلزاما على الزمان الانسياق الى حتمية التناسب مع الواقع في ضوء التحول بين الازمنة المختلفة من الزمن الماضي وأزمنة الحاضر في اتجاه خطي ، فكانت الرواية تسير بخطوات على مبدأ ارسطو [1] حيث لا يتقدم زمن على آخر ، لكن في الرواية الحديثة هناك تحول في الازمنة بإضفاء تقنيات جديدة على السرد مما يؤدي الى حدوث اضطراب في الزمن فيبدو غير متسلسل ومتذبذب ويكون ذا انزياح لخدمة جوانب متعددة منها الجمالي والرومانسي وكذلك الفلسفي [1]، وان تشكل اي حدث روائي لابد ان تكون له بنية زمنية [1]يرتبط بها ، قد تكون زمنا ماضيا وهو موضوع في غاية الاهمية لما يقدمه من مسالة متعلقة بالحكايات القديمة ، او قصصا ما قبل النوم التي تحكيها الامهات لأبنائها لتثير مخيلتهم

وتجعلهم يتخيلون الاجواء المحيطة بالحكايات في عالم سحوي مملوء بالدهشة .

نظرت مناهج النقد الحديث الى الزمن من حيث ارتباطه بالحدث وقسمته الى (زمن الحكاية) و (زمن الكتابة) و(زمن القراءة) [1]، وقد عالج إيكو الزمن في مقاربته للرواية ولؤهته في غابتها بالاشارة الى وجود ثلاثة انماط للزمن في الحكاية وهي ((زمن الحكاية ،زمن الخطاب ،زمن القراءة . ويعتبر زمن الحكاية جزءا من مضمون القصة فاذا قال النص (بعد مرور الف سنة) فان زمن الحكاية هو الف سنة .اما على مستوى العبارة اللسانية اي الخطاب السردي ، فان زمن كتابة الملفوظ (او زمن قراءته) قصير جدا)) [1]، وقد وضح ايكو ان زمن الحكاية يعبر عن زمن يمتاز بالطول ، اما زمن الخطاب فانه يقوده الى تساؤل هو هل يقاس على طول النص السردي ام على زمن قراءة النص ، وليس لديه ضرورة في التطابق بين الزمنين .

اما زمن الخطاب عند إيكو فهو في حالة تفاعل مع استجابة المتلقي ،وعن طريق هذا التفاعل فانه يفرض على القارئ زمنا للقراءة [1]، وهذا الزمن مقتصر على النصوص السردية سواء اكانت رواية او قصة او غيرها ، أما في الفنون الاخرى كالسينما والموسيقى والافلام فالأمر مختلف لان المدة الزمنية فيها مختلفة ، ولها وظيفة تختص بكل فن منها فمثلا في الموسيقى يكون التطابق على اتم وجه في الاغنية كلها ، وفي الافلام لا يكون هناك تطابق بين زمن القصة وزمن الخطاب ، لان الفنون الزمنية يتم عن طريقها اعادة القراءة لكي تنال رضا الجمهور [1]، ليستمتعوا بالعمل الفني بفضل وجود الوسائل والتقنيات المستعملة في ذلك العمل، اما في فنون الفضاء كالتشكيل والفن المعماري فلا علاقة لها بالزمن ،ويكون الزمن خاص بتذوق ذلك الفن والتفاعل معه .

ويشير إيكو الى أن التشعب في الوصف ،والدقة في وصف كل الجزئيات في العمل السردي تعد من اهم الامور التي تدعو القارئ الى عدم الاسراع في القراءة فتستوقفه الاوصاف [1]وبعد ذلك تجعله في حالة تفاعل وتشوه بالنشوة وهو يتذوق النص السردي وهذا ما يسعى المؤلف الى تحقيقه .

فالوصف الذي يستعين به المؤلف في عمله السردي سواء أكان وصفا لشخصياته او للأشياء يعد جزءا من تعطيل مهمة السرد لانشغال المتلقي بتأمل تلك الاوصاف ، وللوصف تأثير كبير على القارئ إذ يعمل على زيادة القناعة عند القارئ بجودة العمل ليوحي اليه بان هذا العمل يقع ضمن تصنيفه بالأدب الرفيع البعيد عن الادب المبتذل [1]، لأنه يعيد الحركة ويمتلئ بالوصف.

اما تفسيره لتمديد زمن السرد الذي يكون مشابها للحركة البطيئة في تصويره لبعض المشاهد ، فقد اشار الى انه لا علاقة لهذا التمديد بمجموع الكلمات المستعملة في النص ، بل له ارتباط بتفاعل القارئ مع النص ، ليتولد شعور في بعض الاحيان عند القارئ برغبته في تجاوز الوصف ويتعداه الى غيره خاصة عندما يقوم المؤلف في الاستغراق كثيرا في ذكر الفنون البلاغية المختلفة في النص [1]، وهذه الأساليب يستعملها الكاتب ليشد القارئ من اجل التفاعل مع النص ،وان سبب تمديد زمن السرد الذي يقوم به المؤلف في النص هو لتهيئة القارئ للدخول في عالم النص حيث لا يكون هناك حساب للزمن ، فيجد القارئ نفسه بعد القراءة ناسيا كل ما قرأه حتى لو انه صرف ساعات طويلة بالقراءة مما يجعله واقعا في متاهة لا يعرف الخروج منها بفعل ما قام به المؤلف من تشتيت له .

ويعتقد ايكو بضرورة إبقاء المؤلف بين ثنايا النص لغرض الكشف عن الغموض الموجود فيه بالتعبير بصورة بلاغية ليحول ما موجود على ارض الواقع ، وقابليته على تحويل ما موجود في الواقع الى صور يستطيع القارئ رؤيتها في الفضاء القصصي الذي انتجه المؤلف بعد قيامه بتمديد الازمنة التي هي زمن الخطاب والقراءة وعلاقته بزمن القصة [1] ، وبعد هذا التمديد والتعبير بالفنون البلاغية يكون الفضاء حاضرا أمام المؤلف ليجعله في حالة تماهٍ مع شخصياته ليصور ما تقوم به افعال .

وخلص البحث الى أن امبرتو ايكو قد اهتم اهتماما كبيرا بقضية السرد وشبه تشابك اجزائه مثل تشابك اشجار الغابة فأخذ يوضح اهمية كل جزء منها ، وقد اطلق عدة اوصاف على تلك الاجزاء ، فهو يرى أن النص آلة كسولة تنتظر المزيد من القارئ حتى يكشف اسراره ، اما المؤلف فيقوم بترك جزء من الغموض ليقوم القارئ بتأويله اعتمادا على ثقافته ومعرفته ، ومن ضمن التسميات التي اطلقها على أنواع السرد هي (السردية الطبيعية و السردية الاصطناعية) تبعا لعلاقتها بالخيال والواقع ، وبالنسبة للقارئ فقد أبتدع ما يسمى بالقارئ النموذجي ، فضلا عن ابتداعه المؤلف النموذجي الذي يكتب للقارئ النموذجي ،.

وختاما فقد اشار إيكو الى ان الزمن يتوزع على ثلاثة انماط (زمن الحكاية ،زمن الخطاب ،زمن القراءة) وقد صنف هذه الازمان مع مايتناسب من الفنون .

الهوامش

[1] ينظر: موسوعة السرد العربي ، عبد الله ابراهيم ، مؤسسة محمد بن راشد ال مكتوم ، ط1، 2016، ج1 ، ص11

[٢] ينظر: بنية النص السردي ، حميد الحميداني ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 2003، ص 46

[٣] ينظر: المصدر نفسه ،ص 49

[٤] ينظر: الوجود والزمان والسرد (فلسفة بول ريكور)، ديفيد وورد ، تر سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 1999،ص46

[٥] ينظر: الخطاب السردي والشعر العربي ، عبد الرحيم مواشده ،عالم الكتب الحديث ،الاردن ، 2012، ص5

[٦] ينظر : مقدمة السرد العربي ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 1997 ، ص20

[٧] ينظر : اليات الكتابة السردية ، اميرتو ايكو ،ص92

[٨] ينظر: معجم مصطلحات نقد الرواية ، لطيف زيتون ، دار النهار للنشر ، لبنان ،2002،ص 99

[٩] ينظر: تأملات في السرد الروائي ، اميرتو ايكو ، ترجمة سعيد بنكراد ، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ، المغرب، ط2 ، 2015 ، ص 8

[١٠] 6وهات في غابة السرد، ص24

١١ ينظر : ست وهات في غابة السرد ، ص20

١٢ ينظر: جمالية التلقي ، ياوس ، ص 87

١٣ ينظر : القارئ في الحكاية ، أمبرتو إيكو ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،1996، ، ص 63

١٤ ينظر : اليات الكتابة السردية ، ص125

١٥ 6وهات في غابة السرد ،ص87_88

١٦ ينظر : التأويل والتاويل المفرط أمبرتو إيكو ، ص 85

١٧ العوايا المحدبة ، ص 268

١٨ 6وهات ، ص33

١٩ ينظر : معجم السرديات ، محمد القاضي واخرون ، ص 333

٢٠ ينظر: معجم المصطلحات الادبية المعاصرة ، سعيد علوش ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1985 ، ص64

٢١. 6 وهات ، ص67

٢٢. 6وهات ، ص136

٢٣. 6وهات ،ص 133_134

٢٤. 6وهات ،147

٢٥. 6وهات 187

٢٦. 6وهات، ص191

٢٧. 6وهات ، ص192

٢٨. 6وهات ، ص195

٢٩. 6وهات ،ص195

٣٠. 6وهات،199

٣١. 6وهات ،ص200

٣٢. 6 وهات ،ص208

٣٣. ينظر : طرائق تحليل السرد الادبي ، ص159

٣٤. ينظر : الاصول المعرفية لنظرية التلقي ، ص 124

٣٥. الاصول المعرفية ، ص134

٣٦. ينظر: المصدر نفسه ، ص153

٣٧. ينظر : المصدر نفسه ، ص20

٣٨. 6وهات ،ص139

٣٩. 6وهات ،ص 148

٤٠.طرائق تحليل السرد الادبي ، ص158

٤١.6وهات ،ص39

٤٢. ينظر : معجم السرديات ، ص318

٤٣. ينظر: 6وهات ، ص30

٤٤. 6 وهات ،ص63

٤٥. 6وهات ،ص40

٤٦. 6 وهات ،ص51

٤٧. 6وهات ، ص151

٤٨. 6وهات 37_38

٤٩. 6وهات ، 42

٥٠. 6وهات ،ص68

٥١. 6وهات ،ص152

٥٢. 6وهات ،ص 154

٥٣. ينظر: السرديات والتحليل السردي ، سعيد يقطين، المركز الثقافي ، المغرب ، 2012 ،ص24

٥٤. ينظر: السردية والواديغم المعرفي للهرمينوطيقيا ، محمود خليف الحياني، دار ناشرون وموزعون ، الاردن ، 2022 ، ص15

٥٥. ينظر: الفضاء الروائي في ادب مؤنس الرزاز ، نجوى محمد جمعة ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، اطروحة دكتوراه ، 2011

٥٦. ينظر: المصدر نفسه ، ص16

٥٧. 6نزهات ، ص94_95

٥٨. ينظر: 6 نزهات في غابة السرد ، ص100

٥٩. ينظر : المصدر نفسه ، ص101

٦٠. ينظر : المصدر نفسه ، ص 102

٦١. ينظر: 6 نزهات ، ص114

٦٢. ينظر ، المصدر نفسه ، ص 98

٦٣. ينظر :المصدر نفسه (116_118)